السنة الثانية والتسعون وثلاث مئة

فيها هرب أعيانُ أهل بغداد إلى البَطيحَة والكوفة وغيرهما؛ من كثرة المصادرات والعملات، وكبَسَ العَيَّارونَ الدور، وأخذوا الأموال.

وفيها قُبِضَ على الموفَّق أبي علي بن محمد بن إسماعيل وزير بهاء الدولة، وكان قد قَبَضَ عليه أولاً بما ذكرنا، وأصعده إلى القلعة، وسلَّمه إلى أبي العباس أحمد بن الحسين الفراش، وكانت فيه غِلظةٌ وفظاظةٌ، وكان قد عرف سوء رأي بهاء الدولة في أبي علي، فاعتقله في حجرة لطيفة، وتركه في وسط الشتاء وشدة البرد بقميص واحد، وعلى كتفه كساءٌ طبري، فأشفى على التلف، وتمنَّى الموت على ما يُقاسيه، فاستمال الموكلين به، وخدعهم ومنَّاهم، وأرغبهم بالأموال فأجابوه، وعملوا له زنبيلاً، ودلَّوه بحبلٍ، وسار وقد أعدُّوا له خيلاً، فأصبح ببلاد سابور، فقيل له: اقصِدْ بدر بن حسنويه، وإلَّا مالَك طاقةٌ ببهاء الدولة [فأقام على لجاجِهِ وقال: أكاتبُ بهاء الدولة وأستصلِحُه. فقيل له، فلم يُصْغِ، وكاتب بهاء الدولة] [1]، وقال: ما خرجتُ عن طاعتِكَ، وإنَّما خِفتُ على نفسي التلف، وما أريد إلا أن أكون آمناً على نفسي لا غير. فأجابه، وحلف له بالأيمان المُغلَّظة على ذلك، وقاد الناسُ إلى الموفق الخيلَ والبغال، وحملوا الثياب والأموال، فعادت نعمتُه إلى ما كانت عليه، فأُشير عليه بأن يحمل الجميع إلى بهاء الدولة، ويطلب أن يكون منقطعاً في داره ببغداد أو في بعض المشاهد، فما التفتَ، وأصرَّ على المخالفة، ودخل شيراز، فنزل داراً أُعِدَّت له، وفَتَحَ بابَه، وأقام الحُجَّاب والطرَّادين، وجلس في الدَّست، ودخل عليه الناسُ كما كان وزيراً، فخاف أصحابُ بهاءِ الدولة، وقالوا: إنَّه يُكاتب أعداءك، ويسعى في خراب دولتك. فأخذه وأصعده إلى القلعة، ووكل به أبا نصر منصور بن طاس، فأحسن إليه، وخدمه ووسَّع عليه، وقال: أنا خادمك، ونفسي ومالي لك، وأُريد منك أن لا تخجلني عند صاحبي. فحلف له على ذلك، وأقام، فجاءه رجلٌ يقال له: الشكري بن حسان، فقال: قد علمتَ فسادَ رأيِ بهاء الدولة فيك، وأنا آخُذُكَ وأذهبُ إلى الري، وتحصل

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

على الخلاص والملك، فقد علمتَ ما في نفوس الديلم منك. فقال: قد عاهدتُ أبا نصر على أن لا أُفارق موضعي، ثم قُتل بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها بعث بهاءُ الدولة عميدَ الجيوش إلى بغداد؛ لتدبير أمورها، وكان قد انحلَّ نظامُها، وطمع العيَّارون فيها، وكثُرت الكبسات والعملات، فسار إليها عميد الجيوش، ولم يقدر بهاء الدولة على المسير إليها؛ خوفاً على فارس، ولمَّا قَرُبَ من بغداد تلقَّاه الناس على طبقاتهم] [(١)]، فألانَ لهم جانِبَه، وسهَّلَ أخلاقَه، وأعذَبَ ألفاظَه، مع هيبةٍ لم يُرَ[(٢)] مثلُها، وزُيِّنَتْ له الأسواق بالقِباب والأواني [ما لم يُعمل في حقِّ غيره] وهرب الذُّعَّار والشُّطَّار [والعيَّارون] ودخلها في سابع عشر ذي الحجة يوم الثلاثاء، ونُثِرتْ عليه الدنانير والدراهم، وأُقيم الغلمان في أيديهم مجامر [العود و] البخُور، وغُلِّفَتْ وجوه الخيل بالغالية[(٣)]، ونزل في الزَّبزبِ إلى دار المملكة، وخدم الأميرين أبا شجاع وأبا طاهر، وصعد فنزل بباب الشعير، في الدار التي كانت لأبي الحسن محمد بن عمر، وجَدَّ في طلب العيَّارين[وكان معظَمُهم من العباسيين والعلويين] [(٤)] وقد استطالوا، فجاؤوه بهم من كل مكانٍ، فكان يقرِنُ العباسيَّ بالعلويِّ ويغرقهما نهاراً[(٥)] بمشهد من الناس، وكذا فعلَ بجماعةٍ من الحواشي والأتراك والمتعلِّقين بهم، فغرقهم، [فهدأت الفتن] فاستقامتِ الأمور، وانحسمت المواد، وأمن البلاد والسُّبل وخاف الغائب والحاضر، وكان كلُّ علويٍّ وعباسيٍّ يستجير بدار أحد من الخواص، فيبعث فيكبس عليه الدار ويغرقه، ويتبع العيَّارين والمفسدين، فقُتلوا وغُرِّقوا، وكفى الله المؤمنين القتال.

وكان من جملة العيَّارين رجلٌ يُقال له: ابن أبي العباس العلوي، فهرب إلى ميَّافارقين، فقال عميد الجيوش: هذه مئة دينار لمن يمضي وراءه ويفتكُ به. وأودعها بعض التجار، وتعيَّن شخصٌ لِقَتْله، فبيناهم كذلك إذ ورد الخبر بوفاة العيَّار، فضحك

(١) ما بين حاصرتين جاء بدلاً منه في (خ) و (ب): وتلقَّاه الناس.

(٢) في (م) و(م١): يروا.

(٣) الغالية: أخلاط من الطيب، كالمسك والعنبر. المعجم الوسيط (غلا)، وغُلِّفَت: لُطِّخَت.

(٤) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، وأثبت من باقي النسخ.

(٥) المثبت من (ب)، وبقية النسخ: ناراً.

عميد الجيوش، وقال: هذا قد أراحنا الله منه بغير عزم، اصرفوا هذه الدنانير في الراحة من مُفسدٍ آخر. [واستقامت أمور بغداد على يديه].

وفي ذي الحجة وُلد لبهاء الدولة ولدان توأمان؛ أبو علي الحسن، وأبو الحسين، فعاش أبو الحسين بضع سنين ومات، وبقي أبو علي، وملك الأمر ببغداد، ولُقِّب شرفَ الدولة، ومنع عميدُ الجيوش السُّنَّة والشيعة من إظهار مذهب، ونَفَى بعد ذلك ابنَ المعلِّم فقيهَ الشيعة من بغداد.

ولم يحجَّ أحدٌ خوفاً من العرب والقرامطة، وكان قد اجتمع حجُّ خراسان، فبلغهم ذلك، فرجعوا.

وفيها ولَّى الحاكم على دمشق أبا منصور خُتَكينَ القائد، فأساء السيرة، وأخذ الأموال، وظلم، فعزله الحاكم، وسخط عليه، وولى طرملت بن بكار، ففعل أقبحَ ما فعل خُتَكين، فعزله وأعاد خُتَكين. وقيل: كان ذلك في سنة ثمانين وثلاث مئة.

وفيها توفِّي

عثمان بن جِنِّي[1]

أبو الفتح، النَّحوي، اللُّغوي، الموصلي، العلامة، له مصنفات، منها: «اللُّمع» و«التلقين» و«التعاقب» و«شرح القوافي» و«المؤنَّث والمذكَّر» و«سرُّ الصناعة» و«الخصائص» و«شرح المتنبي» وغير ذلك، وكان أبوه عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي. قال الخطيب[2]: وكان يقول الشعر، ويُجيد نَظْمه، ومن شعر عثمان بن جني: [من الهزج]

فإنْ أُصبِحْ بلا نسبٍ ... فعِلْمي في الورى نَسَبي
على أنِّي أؤولُ إلى ... قُرومٍ سادةٍ نُجُبِ
قياصرةٍ إذا نَطَقوا ... أرَمَّ الدهرُ في الخُطَبِ
أُولاكَ دعا النبيُّ لَهُمْ ... كفى شرفاً دعاءُ نبي

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣١١ ـ ٣١٢، والمنتظم ١٥/ ٣٣ ـ ٣٤، ومعجم الأدباء ١٢/ ٨١ ـ ١١٥، وإنباه الرواة ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٤٠ . وينظر السير ١٧/ ١٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣١.

قال المصنف رحمه الله: قول الخطيب: كان يقول الشعر، ويُجيد نظمه؛ إن كان من هذا الجنس، فسكوتُه أصلح.

سكن ابن جِنِّي بغداد، ودرس بها العلم، حتى مات يوم الجمعة لليلتين بقِيَتا من صفر، وأخذ الأدب عن جماعة، منهم: أبو علي الفارسي وطبقته، وقرأ عليه النَّحْوَ عَضُدُ الدولة، وكان يُعظِّمه. وقيل: إنه توفِّي بالموصل، وكان ثقةً صدوقاً.

علي بن عبد العزيز(١)

أبو الحسن، الجرجاني، قاضي الري، سمع الحديث الكثير، وترقَّى في العلوم، فأقرَّ له الناس بالفضل، وله أشعارٌ حِسانٌ منها: [من الطويل]

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنَّما ... رأوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحْجَما
أرى النَّاسَ مَنْ داناهُم هانَ عِنْدَهُمْ ... ومَنْ أكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِما
ولم أقْضِ حقَّ العِلْمِ إنْ كان كُلَّما ... بدا طَمَعٌ صيَّرتُهُ ليَ سُلَّما
إذا قيلَ هذا منهلٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتمِلُ الظَّما
ولم أبتذِلْ في خدمةِ العلمِ مُهجَتي ... لأخدُمَ مَنْ لاقَيتُ لكنْ لأُخدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذِلَّةً ... إذاً فاتِّباعُ الجهلِ قد كان أحْزَما
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانوهُ صانَهُمْ ... ولو عظَّموهُ في النُّفوسِ لَعُظِّما
ولكِنْ أذلُّوهُ جَهاراً(٢) فدَنَّسوا ... مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتَّى تجهَّما
وما زلتُ منحازاً بعرضيَ جانباً ... عن الذُّلِّ أعتدُّ الصيانَةَ مغْنَما
أُنَهْنِهُها عن بعض ما قد يشينُها ... مخافة أقوال العِدى فيمَ أولِما
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفِزُّني ... وما كلُّ من في الناس أرضاه مُنْعِما
وأُقْسِمُ ما عِزٌّ أمْرئٍ حسُنَتْ لَهُ ... مسامَرةُ الأطماعِ إنْ باتَ مُعْدِما
وكمْ طالبٍ رقي بنعماهُ لم يَصِلْ ... إليه ولو كان الرَّئيسَ المُعَظَّما
وكم نعمةٍ كانتْ على الحرِّ نِقْمةً ... وكم مغْنَمٍ يعتَدُّه الحرُّ مَغْرَما

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٤ ـ ٣٥، ويتيمة الدهر ٤/ ٣ ـ ٢٩، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٤ ـ ٣٥، وينظر السير ١٧/ ١٩.

(٢) في النسخ الموجودة والمنتظم: فهان، والمثبت من المصدرين الآخرين وغيرهما من المصادر.

وماذا عسى[١] الدنيا وإنْ جَلَّ خَطْبُها ينالُ بها مَنْ صيَّر الذُّلَّ مَطْعَما

وقد ادَّعى قومٌ أن هذه الأبيات للشافعي في هذا الوزن والقافية قصيد منها :

تَعاظَمني ذنبي فلمَّا قَرَنْتُهُ بعفوكَ ربِّي كان عفوُكَ أعْظَما

وليس بصحيح، إنما هي للجرجاني، ومن شعره : [من الطويل أيضاً]

إذا شئتَ أن تَسْتَقْرِضَ المالَ مُنْفِقاً على شهواتِ النَّفْسِ في زمَنِ العُسْرِ
فسَلْ نَفْسَكَ الإقراضَ من كيسِ صَبْرِها عليكَ وأنظِرْها إلى زمنِ اليُسْرِ
فإنْ فَعَلتْ[٢] كنتَ الغنيَّ وإنْ أبَتْ فكلُّ منوعٍ بعدَها واسعُ العُذْرِ

وقال أيضاً : [من الخفيف]

ما تطَعَّمتُ لذَّةَ العيش حتى صِرْتُ للبيتِ والكتابِ جليسا
ليس عندي شيءٌ أعزَّ من العِلْـ ـمِ فلم أبتغي سواهُ أنيسا
إنَّما الذُّلُّ في مُخالطة النَّا سِ فدَعْهُم وعِشْ عزيزاً رئيسا

وقال : [من البسيط]

قُلْ للزَّمانِ الذي أبدى عجائِبَهُ اللهُ منكَ ومن تصريفِكَ الكافي
اجهَدْ بجَهْدِكَ فيما قد قصَدْتَ لَهُ ففرجةٌ منكَ بين النونِ والكافِ

وقال : [من الكامل]

وأغَنّ عنْ أربابِهِ أربا بِهِ قلبي إلى أوصابِهِ أوصى بِهِ
ذي شافعٍ يومَ النَّوى أضحى به سُكْرُ الهوى العذريِّ من أصحابِهِ
أسْلُو بهِ عَنْ كلِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وأظلُّ دونَ الخَلْقِ مِنْ أسلابِهِ
وتصبُّري[٣] في الحبِّ ما ألقى بِهِ فأودُّ لو وَرَّيْتُ عن ألقابِهِ
كم منزلٍ بالأبرقينِ ثوى بِهِ لم يقضِ فيه الصبُّ حقَّ ثوابِهِ
أترى به في الحب نخوةَ قادرٍ فيسومني للعزِّ لَثمَ تُرابِهِ

---

(١) في (خ) : وما زاد على. والمثبت من (ب).

(٢) في النسخ الموجودة : أقرضت. والمثبت من معجم الأدباء والمنتظم.

(٣) في (ب) وتغيري.

رَشَـأٌ إذا عـايَـنْـتُـه أثـوي بِـهِ حَـيـرانَ حيـن يـمـيـسُ فـي أثـوابِـهِ
فَـرِحـا بـهِ الـطَّـلانُ حـيـنَ رآهـمـا مـا بـيـنَ رمْـلَـةِ عـالـجٍ فـرحـا بِـهِ
وجَـوى بـه قـلـبـي تـضـاعَـفَ حُـبُّـهُ فـيـهِ وبـرْدُ جَـواه رَدُّ جـوابِـهِ
إن كـنـتَ تـطـمـعُ فـي هـواهُ بِـغـابِـهِ فـالـلـيـثُ لا يُـسطـى عـلـيـه بـغـابِـهِ
بـصـري وسـمـعـي فـي هـواهُ طُـلا بِـهِ غُـبـنـاً كـمـا طَـلِـيَـتْ دمـاءُ طُـلابِـهِ
وشـرى بِـهِ قـلـبـي غـداةَ فِـراقـهِ صـبـراً أمـرُّ الـبَـيـنِ مُـرُّ شـرابِـهِ
وجـنـى بِـهِ ثَـمَـرَ الـصَّـبـابـةِ يـانـعـاً صَـبٌّ أَلَـمَّ بـدارِهِ وجـنـابِـهِ
ومـن الـعـجـائـبِ مـنـزلٌ أَرْوَى بـهِ وأذوبُ مـن ظـمـأٍ ولا أروى بِـهِ

ومات الجرجاني بالري في هذه السنة، وحُمِلَ تابوتُه إلى جرجان، وكان يُلقَّب بقاضي القضاة، وكان حسنَ السيرة، صدوقاً فاضلاً.

[وفيها توفِّي]

محمد بن محمد بن جعفر(١)

أبو بكر، الشافعي، ويُعرف بابن الدَّقاق، صاحب الأصول، ولد سنة ست وثلاث مئة، وتفقَّه، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وتوفِّي ببغداد في رمضان.

الوليد بن بكر(٢)

ابن مَخْلَد بن أبي زياد، أبو العباس، الأندلسي، رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر، وسمع الكثير، وكان إماماً عالماً بالحديث والفقه، ثقةً أميناً، وهو مقدَّمٌ في علم الأدب، توفي بالدِّيْنَور في رجب، وروى عنه الحاكم وغيره، ومن شعره: [من المتقارب]

لأيِّ بـلائِـكَ لا تَـدَّكِـرْ ومـاذا يـضـرُّكَ لـو تـعـتَـبِـرْ
فـبـانَ الـشـبـابُ وحـلَّ الـمـشـيْـب وحـانَ الـرحـيـلُ فـمـا تَـنْـتَـظِـرْ

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، والمنتظم ١٥/ ٣٦.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٨١، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١١١ ـ ١١٥.